استثنينا الحزب الشيوعي الفلسطيني، والذي كان له وضع خاص بسبب خصوصية نشأته، فان المجتمع العربي الفلسطيني لم يعرف الحزب السياسي، بمفهومه الحديث، الاّ بعد تشكّل عصبة التحرر الوطني في خريف العام ١٩٤٣، والتي كان ظهورها على علاقة وثيقة بالتغيّرات البنيوية التي شهدها المجتمع بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية، وأدّت الى تنامي دور فئة المثقفين، وتوسع حجم الطبقة العاملة، وتطوّر حركتها النقابية، ونمو فئة البورجوازية الصناعية العربية[٣].

ثلاثة تيارات فكرية

توزع الفكر السياسي الفلسطيني، في مرحلة الانتداب، على ثلاثة تيارات فكرية رئيسة: تيار الوطنية الفلسطينية، وتيار القومية العربية، وتيار الشيوعية الاممية. وبينما كانت الحدود تغيب، أحياناً، بين التيارين الاول والثاني، بقي التيار الثالث مستقلاً، ويتمتع بخصوصية معيّنة نبعت عن نشأته بين صفوف المهاجرين اليهود الثوريين، الى ان ظهرت عصبة التحرر الوطني، حيث صار، بعد ان تحرر من روابطه الاممية، يتزاوج مع تيار الوطنية الفلسطينية[٤]، بحيث نجم عن هذا التزاوج وطنية جديدة، يسارية المنطلقات واجتماعية الابعاد وديمقراطية المضامين[٥]. أمّا تيار الجامعة الاسلامية، والذي كان تراجع كثيراً، في إطار الفكر السياسي العربي، بعد تفكّك الامبراطورية العثمانية، فانه لم يعبّر عن نفسه سياسياً، بشكل واضح، طوال هذه المرحلة، ولم تكن فكرة الوحدة الاسلامية أكثر من وسيلة لاستنهاض المسلمين ودفعهم الى مؤازرة نضال الشعب العربي الفلسطيني والتضامن معه. صحيح ان الدين الاسلامي لعب دوراً في اذكاء روح المقاومة للمشروع الصهيوني، خصوصاً وان الصهيونية اتخذت من الدين اليهودي منطلقاً أساسياً من منطلقاتها الايديولوجية، وصحيح ان رجال الدين المسلمين اقتحموا ميدان العمل السياسي، حتى ان القيادة السياسية اندمجت، في وقت من الاوقات، بالقيادة الدينية، الاّ ان الاسلام السياسي، كتيار يحمل مشروعاً سياسياً محدداً يقوم على أساس فكرة الجامعة الاسلامية، بقي غائباً، (لم تبرز جماعة الاخوان المسلمين كتنظيم موحّد على ساحة العمل السياسي الاّ في العام ١٩٤٦)، وظلت العلاقة بين العروبة والاسلام قائمة على أساس ان الاسلام هو مكون من مكونات العروبة، ولكنه ليس بديلاً عنها، وهو ما عبّرت عنه جريدة «الكرمل» في أحد مقالاتها، حين كتبت: «يجب ان تكون العروبة شعارنا، ويجب ان نستفيد من الاسلام، فقط، كما أراد محمد بن عبدالله، صلى الله عليه وسلم، ان يستفيد العرب منه بأن يجعلوا مسلمي العالم يعطفون عليهم، لأن البلاد العربية وطن الدين الاسلامي، واللغة العربية لغة القرآن، والعرب قوم صاحب الشريعة الاسلامية، ولكن هذا يجب ان لا ينسيهم ان اخوانهم، في اللغة والقومية والوطنية والمصلحة، من النصارى هم أقرب الناس اليهم»[٦].

الارهاصات الاولى لـ «الوطنية» الفلسطينية

ارتبطت ظاهرة تبلور شخصية «وطنية» فلسطينية، في العصر الحديث، بالاستيطان الصهيوني، وذلك بالرغم من غياب وحدة سياسية وادارية وجغرافية تميز المناطق التي ستتشكل منها فلسطين، في أعقاب الحرب العالمية الاولى، عن غيرها من مناطق بلاد الشام. وأدّى الاحساس بالخطر الصهيوني الى تبلور فكر سياسي فلسطيني، تمايز، الى حدّ ما، عن الفكر السياسي الذي كان يسود في الولايات السورية الاخرى الخاضعة للسيطرة العثمانية[٧]. صحيح ان العرب الفلسطينيين شاركوا في تأسيس، وفي نشاط مختلف الاحزاب والحركات والجمعيات السرية العربية، التي تشكّلت بعد اعلان الدستور العثماني في تموز (يوليو) ١٩٠٨، وتبنّوا أفكارها القومية الاصلاحية، الاّ ان